إسلام المظاهر...والنصر الغائب

إن المتأمل في حالنا كأمة عربية وإسلامية اليوم يجد نفسه أمام مفارقة مؤلمة، فنحن أمة تملك أثمن عقيدة وأعظم تاريخ، لكننا نترنح في ذيل القافلة الحضارية. هذا التردي ليس صدفة تاريخية، بل هو نتيجة طبيعية لانفصام عميق بين "ادعائنا" و"عملنا"، وبين "طلبنا للنصر" و"استحقاقنا لثمنه".

لقد نجح الغرب في استدراجنا بعيداً عن جوهر عقيدتنا، فزيّن لنا ملاحقة قشور مدنيته وتوافه أموره، حتى غرقنا في بحار التشرذم والفساد والتبعية، وبدلاً من أن يكون إيماننا قوةً جامعة وسيادةً مهابة، استسلمنا لمخططات التفكيك التي أعادتنا إلى حالة الشتات والوهن، متناسين أننا لم ننتزع مقعدنا في الصف الأول كقوة مستقلة إلا بمحمد ﷺ إذ صهر القبائل المتناثرة في أمة واحدة تحمل للعالم رسالة، وبدون هذا المحرك العقدي، سنرتد مجرد زيادة عددية لا وزن لها في ميزان الأمم، عاجزين عن تحقيق قانون النصر الإلهي إذ قال سبحانه وتعالى: **(وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ).**

إن ركوننا إلى **القعود** والتخلي عن ذروة سنام الإسلام وهو **الجهاد** بمفهومه الشامل، أدى بنا بالضرورة إلى شللٍ في أدوات عقولنا، فمن استسهل القعود عن الجهاد ومنازلة الباطل، استثقل بالضرورة **مشقة الرباط في ميادين العلم والطلب**. وهكذا تحولنا من أمةٍ كانت تقود العالم بثورتها المعرفية إلى أمة تعيش عالة على ما ينتجه الآخرون، فأبدلنا عزة الاجتهاد بذلة التلقين، وغابت عنا القوة والعدالة التي تُبنى بها الحضارات.

واليوم ونحن نرقب تفوق الآخرين، ندرك أن الهوة لم تكن في العتاد فحسب، بل في أخلاقنا العملية، فإذا تساءلنا لماذا سادت الأمة الغربية؟ نجد أنهم سادوا بالمبادئ التي أهملناها نحن، أخذوا بسنن الله الكونية في الإتقان، والعمل الجماعي، بينما غرقنا نحن في هزيمة نفسية، نُقلد الغرب في قشور مدنيته ومظاهر استهلاكه، لا في جوهر نهضته ومناهج بحثه.

ولعلنا نستفيق و نتيقن أن استقلالنا ليس حبراً على ورق المعاهدات، و**لا قيام لنا ولا نصر لنا على عدونا إلا بتمسكنا بالعقيدة كطاقة محركة، واعتصامنا بالله كمنهج حياة، وإخلاصنا في الدين الذي يرفض الهوان.**